الباب الثالث

أدلة ابن تيمية
على وجود الله سبحانه وتعالى

مقدمـة

أدلة وجود الله فى القرآن الكريم :

(أ) الدليل الكونى :

الآيات الدالة على وجود الله سبحانه وتعالى فى القرآن كثيرة، وتتمثل هذه الآيات فى ذكر مخلوقات الله سبحانه وتعالى، كالشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار وخلق السماوات والأرض وخلق الإنسان والدواب والأشجار، وأن هذه المخلوقات لا بد لها من خالق هو الله سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾[(1)]. وكذلـك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[(2)]. ودعانا القرآن إلى النظر فى خلق الإنسان وإلى النظر فى خلق أنفسنا كما يقول تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[(3)]، ودعانا إلى النظر فى تطور خلق الإنســان حيث ابتدأ خلقه من طين ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، ثم كســاه عظاماً ثم لحماً، وهذا لا يفعله إلا الله سبحانه وتعــالى، يقول ســبحانه وتعالى فى ذلــك: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ

(١) سورة الغاشية – الآيات ١٧ – ٢١.

(٢) سورة آل عمران – الآيات ١٩٠ – ١٩١.

(٣) سورة الذاريات – الآية ٢١.

﴿خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٤)﴾(١).

(ب) القرآن الكريم :

القرآن الكريم نفسه دليل على وجود الله سبحانه وتعالى، فهو المعجزة الأبدية التى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحدى به النبى صلى الله عليه وسلم العرب أن يأتوا بسورة مثله، وهم أهل البلاغة والفصاحة لكنهم لم يستطيعوا، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ (٢٤)﴾(٢).

فالقرآن كلام الله غير مخلوق، وكلام الله صفة من صفاته عز وجل، والقرآن حقيقة ملموسة ودليل عقلى، فالقرآن عربى كلماته وعباراته، والعرب تفوهوا بالشعر كما تفوهوا بالنثر فى أشكال وأساليب مختلفة وأقوالهم موجودة فى كتبهم وذاكرتهم.

فالقرآن إما أن يستطيع العرب أن يقولوا مثله وإما لا يستطيعون، إذا استطاعوا فالقرآن كلام بشر، ولكن إذا لم يستطيعوا، فالقرآن ليس كلاماً بشرياً(٣).

وبمقارنة القرآن بأقوال العرب، فالقرآن له أسلوب خاص ولم يستطع العرب أن يقلدوه سواء قبل الوحى أم بعد الوحى، وهذا يدل علي أن القرآن ليس عملهم، إذن فالقرآن هو كلام الله وهو من عند الله وهو أيضاً دليل على وجود الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة المؤمنون – الآيات ١٢ – ١٤.

(٢) سورة البقرة – الآيات ٢٣ – ٢٤.

(3) Samih Atef el Zein The lood to laith- P. 40 50.

الفصل الأول

نقد ابن تيمية للمتكلمين والفلاسفة لأدلة وجود الله

أولا: نقد ابن تيمية للمتكلمين لأدلة وجود الله سبحانه وتعالى:

يذهب المتكلمون إلى الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى بأدلة الحدوث والإمكان، فكل حادث فلحدوثه سبب، والعالم حادث؛ فيلزم منه أن له سبباً. وتعنى بالعالم كل موجود سوى الله تعالى ونعنى بكل موجود سوى الله تعالى الأجسام كلها وأعراضها، وشرح ذلك بالتفصيل أنا لا نشك فى أصل الوجود، ثم نعلم أن كل موجود إما متحيزا وإما غير متحيز. وأن كل متحيز إن لم يكن فيه ائتلاف؛ فنسميه جوهراً فرداً، وإن ائتلف إلى غيره سميناه جسماً وأن غير المتحيز إما أن يستدعى وجوده جسماً يقوم به؛ ونسميه الأعراض، وإما لا يستدعيه وهو الله سبحانه وتعالى[1]. هذا ما ذهب إليه حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى (٤٥٠ – ٥٠٥هـ) من الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى بدليل الحدوث معتمداً فى ذلك على فكرة التحيز والعرض والجوهر الفرد والجسم.

وينتقد شيخ الإسلام ابن تيمية دليل الحدوث؛ لأنه مبنى على نفى الجسم لله سبحانه وتعالى، فيرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن لفظ الجسم ليس له وجود فى النصوص سواء بالنفى أم الإثبات، ولكن المثبتين أفضل حالاً، لأنهم يثبتون ما أثبتته النصوص، وطريق أهل السنة والحديث والأئمة الذين لا يوافقون على إطلاق الإثبات ولا النفى بل يقولون ما تعنون بقولكم أن كل

---

(١) الغزالى – الاقتصاد فى الاعتقاد، ص ١٥.

جسم مرئى فإن فسروا ذلك بأن كل مرئى يجب أن يكون قد ركبه مركب، أو أن يكون متفرقاً فاجتمع أو أنه يمكن تفريقه ونحو ذلك منعوهم المقدمة الأولى وقالوا هذه السموات مرئية مشهودة ونحن لا نعلم أنها كانت متفرقة مجتمعة وإذا جاز أن يرى ما يقبل التفريق فما لا يقبله أولى بإمكان رؤيته، فالله تعالى أحق بأن تمكن رؤيته من السموات وكل قائم بنفسه فإن المقتضى للرؤية لا يجوز أن يكون أمراً عدمياً بل لا يكون إلا وجودياً، وكلما كان الوجود أكمل كانت الرؤية أجوز.

وقول من يثبت الجوهر الفرد أو يثبت المادة والصورة وقالوا: إن الله خلق هذا الجسم المشهود هكذا وإن ركبه ركبه من أجسام أخرى وهو سبحانه يخلق الجسم من الجسم كما يخلق الإنسان من الماء المهين؛ وقد ركب العظام فى مواضعها من بدن ابن آدم وركب الكواكب فى السماء فهذا معروف، وأما أن يقال إنه خلق أجزاء لطيفة لا تقبل الانقسام، ثم ركب منها العالم فهذا لا يعلم بعقل ولا سمع، بل هو باطل، لأن كل جزء لابد أن يتميز من جانب عن جانب والأجزاء المتصاغرة كأجزاء الماء، يستحيل عند تصغيرها، كما يستحيل الماء إلى الهواء مع أن المستحيل يتميز بعضه عن بعض. والصادق المصدوق قال إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر وقال هل تضامون فى رؤية الشمس صحوا ليس دونها سحاب قالوا: لا. قال: فهل تضامون فى رؤية القمر ليس دونه سحاب قالوا: لا. قال: فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئى بالمرئى(1).

إذن فشيخ الإسلام ابن تيمية يثبت الجسمية لله سبحانه وتعالى كما جاءت فى الكتاب والسنة، وهذا الإثبات بلا كيف ولا بتمثيل لمخلوقاته

---

(1) ابن تيمية – بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول – على هامش كتاب منهاج السنة النبوية – الجزء الأول، ص ١٤٧ – ١٥١. والحديث رواه البخارى.

سبحانه وتعالى، كما يدل هذا دائماً مذهبه فى الأسماء والصفات والذات لله سبحانه وتعالى. ويعرض شيخ الإسلام ابن تيمية لأدلة وجود الله عند المتكلمين وخاصة أبا عبد الله الخطيب الفخر الرازى (٥٤٣ - ٦٠٦هـ)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى ذلك «فإنه قال (الرازى) الاستدلال على الصانع إما أن يكون بالإمكان أو الحدوث، وكلاهما فى الذات، وإما فى الصفات، وربما قالوا وإما فيهما، فالأول إثبات إمكان الجسم بناء على حجة التركيب التى هى أصل الفلاسفة، والثانى بيان حدوثه بناء على حجة حدوث الحركات والأعراض التى هى أصل المعتزلة، والثالث إمكان الصفات، بناء على تماثل الأجسام، والرابع إمكانهما جميعاً، والخامس حدوث الصفات وهذا هو الطريق المذكور فى القرآن، والسادس حدوث الأجسام وصفاتها وهو مبنى على ما تقدم، وهذه الطرق الست ككل مبنية على الجسم إلا الطريق الذى سماه حدوث الصفات يعنى بذلك ما يحدثه الله فى العالم من الحيوان والنبات والمعدن والسحاب والمطر وغير ذلك»[1].

فالرازى هنا يستدل على وجود الله سبحانه وتعالى بدليل الحدوث ودليل الإمكان، فكل حادث له محدث وكل ممكن يستند إلى واجب الوجود، وهو يعتمد فى هذا على فكرة التركيب والحركة والعرض والجسم.

وينتقد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى، والتى جاء بها الفخر الرازى، فهذه الأدلة من الكلام المحدث الذى كان السلف والأئمة يذمونه، ولا أمر النبى صلى الله عليه وسلم أحداً أن يستدل بذلك على إثبات الصانع ولا ذكر الله تعالى فى كتابه وفى آياته الدالة عليه وعلى وحدانيته شيئاً من هذه الحجج المبنية على الجسم والعرض وتركيب

(١) المصدر السابق، ص ١٨٨.

الجسم وحدوثه[1].

وانتقد شيخ الإسلام ابن تيمية المتكلمين بأن طريقتهم فى الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى هى طريقة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾[2]، فاستدلوا بالأفول الذى هو الحركة والانتقال على حدوث ما قام به ذلك كالكواكب والقمر والشمس، وظن هؤلاء أن قول سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم هذا ربى أراد به هذا خالق السموات والأرض القديم الأزلى وأنه استدل على حدوثه بالحركة وهذا خطأ من وجوه:

أحدهما: أن قول الخليل هذا ربى سواء قاله على سبيل التقدير لتقريع قومه أم على سبيل الاستدلال والترقى، أم غير ذلك، ليس المراد به هذا رب العالمين القديم الأزلى الواجب الوجود بنفسه.

الوجه الثانى: أنه لو كان المراد بقوله هذا ربى أنه رب العالمين لكانت قصة الخليل حجة على نقيض مطلوبهم، لأن الكوكب والقمر والشمس مازال متحركاً من حين بزوغه إلى عند أفوله وغروبه، وهو جسم متحرك متحيز، فلو كان مراده هذا، للزم أن يقال إن إبراهيم لم يجعل الحركة والانتقال مانعة من كون المتحرك المنتقل رب العالمين.

الوجه الثالث: أن الأفول هو المغيب والاحتجاب، ليس هو مجرد الحركة والانتقال ولا يقول أحد لا من أهل اللغة ولا من أهل التفسير أن الشمس والقمر فى حال سيرهما فى السماء أنهما آفلان، ولا يقول للكواكب المرئية فى السماء فى حال ظهورها وجريانها أنها آفلة، ولا يقول عاقل لكل من مشى وسافر

(١) المصدر السابق، ص ١٨٩..

(٢) سورة الأنعام – الآية ٧٦.

وسار وطار أنه آفل»(1).

ثانيا: نقد ابن تيمية لأدلة الفلاسفة على وجود الله سبحانه وتعالى:

نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يقوم بنقد الفلاسفة لأدلة وجود الله سبحانه وتعالى متمثلين فى ابن سينا وابن رشد، فهو أولاً يعرض مذهبهما فى أدلة وجود الله سبحانه وتعالى، ثم يقوم بنقدهما كعادته.

يعرض شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب ابن سينا فى أدلة وجود الله سبحانه وتعالى وهو دليل الممكن والواجب، فكل ممكن يستند إلى واجب الوجود، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى ذلك: «قال ابن سينا (إشارة) كل موجود إذا التفت إليه من حيث ذاته من غير التفات إلى غيره، فإما أن يكون بحيث يجب له الوجود فى نفسه أو لا يكون، فإذا وجب فهو الحق بذاته الواجب وجود من ذاته وهو القيوم، وإن لم يجب لم يجز أن يقال هو يمتنع بذاته بعدما فرض موجوداً بل إن قرن باعتبار ذاته شرط مثل شرط عدم علته صار ممتنعاً أو مثل شرط وجود علة صار واجباً، وأما إن لم يقترن بها شرط لا حصول علته ولا عدمها بقى له من ذاته. الأمر الثالث وهو الإمكان، فيكون باعتبار ذاته الشىء الذى لا يجب ولا يمتنع، فكل موجود إما واجب الوجود بذاته وإما ممكن الوجود بحسب ذاته»(2). هذا ما ذهب إليه ابن سينا من دليل الممكن والواجب وأن الممكن وسط بين واجب الوجود وبين العدم، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن طريقة الممكن والواجب مأخوذة من طريق الحدوث وطريق الحدوث أكمل وأبين، فإن الممكن الذى يعلم أنه ممكن هو ما علم أنه وجد بعد عدم أو عدم بعد وجوده، هذا الذى اتفق العقلاء على أنه ممكن

---

(1) المصدر السابق، ص ١٩١ - ١٩٣.

(2) ابن تيمية - المصدر السابق جـ ٣، ص ١٣١.

وهو الذى يستحق أن يسمى ممكناً بلا ريب وهذا محدث، فإذاً كل ممكن، محدث، وأما تقدير ممكن لم يزل واجباً بغيره، فالعقلاء دفعوا ذلك حتى القائلون بقدم العالم كأرسطو وأتباعه المتقدمين، وحتى هؤلاء الذين قالوا ذلك ابن سينا وأتباعه، لا يجعلون هذا من الممكن، بل الممكن عندهم ما أمكن وجوده وعدمه، فكان موجوداً تارة ومعدوماً تارة أخرى، وإنما جعل هذا من الممكن ابن سينا وأتباعه مع تناقضه وتصريح بخلاف ذلك لما سلكوا فى إثبات واجب الوجود الاستدلال بالموجود على الواجب فقالوا كل ما سواه يكون ممكناً بنفسه واجبا بغيره، وجعلوا العالم قديماً أزلياً مع كونه ممكناً بنفسه وهذا خلاف قول سلفهم، وقول أئمة الطوائف سواهم، وخلاف ما صرحوا أيضاً به وهذا مما أنكره ابن رشد وغيره على ابن سينا(١).

وينتقد شيخ الإسلام ابن تيمية ابن سينا فى دليل الممكن والواجب، فكون الموجود ينقسم إلى واجب، وهو الواجب بنفسه، وإلى ممكن وموجود بغيره وأن الوجود بغيره لابد له من موجود بنفسه، فهذا كله حق وهى قضايا صادقة وأما كون الممكن بنفسه له ذات يعتقب عليها الوجود والعدم، وأنها مع ذلك قد تكون قديمة أزلية واجبة بغيرها كما يقوله ابن سينا وموافقوه، فهذا باطل عند العقلاء قاطبة من الأولين والآخرين حتى عند ابن سينا مع تناقضه، ويعترض شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الدليل بوجوه:

أحدها: قوله إن قرن باعتبار ذاته شرط صار ممتنعاً أو واجباً إن لم يقرن بها شرط بقى له من ذاته الأمر الثالث، وهو الإمكان يقتضى إثبات ذلك لهذا الممكن تكون تارة واجبة وتارة ممتنعة، وهذا يقتضى أن لكل ممكن ذاتاً مغايرة لوجوده وأن تلك الذات يمكن اتصافها بالوجود تارة وبالعدم أخرى، وهذا

---

(١) ابن تيمية – المصدر السابق. ص ٢٠٠ – ٢٠١.

باطل سـواء أريد به قول من يجعل المعدوم شـيئاً من المعتزلة ونحوهم أو قول من يجعل الماهيات النوعية فى الخارج مغايرة للوجود فى الخارج كما يقوله من يقوله من المتفلسفة.

الوجـه الثانـي: أن هذا باطل على كل قول، أما على قول نظار السـنة الذين يقولون وجود كل شيء فى الخارج عين حقيقته فظاهر، وأما على قول القائلين بأن المعدوم شـيء المفرقين بين الوجود والثبوت فإنهم لا يقولون ذلك إلا فـى المعدوم، لا يقولون إن الموجود القديم ثبوتـه يقبل الوجود والعدم بل قـد يقولون إن ماهية القديم مغايرة لوجود الممكن لا يقولون إنها تقبل الوجوه والعدم.

الوجه الثالث: أن هذا باطل فإنها إذا كان مستلزماً للوجود امتنع أن تقبل العـدم، وإن كان عدمهـا ممكناً؛ امتنع أن تسـتلزم الوجود، فدعوى المدعى أنها يمكن وجودها وعدمها، وأنها مع ذلك تسـتلزم الوجود لا يمكن عدمها جمع بين المتناقضين.

الوجـه الرابـع: أن يقال معلوم أنـه لولا وجود الفاعـل لكانت معدومة بنفسـها ولم يكن عدمها معلوم علته منفصلة عنهـا، وقول القائل علة العدم عـدم العلـة إن أراد بـه أن عدم العلة يسـتلزم عدمها، ويـدل عليه، فهذا صحيـح، وإن أراد أن نفس عدم العلة هـو الذى جعل المعلول معدوماً بهذا، معلوم البطلان بصريح العقل؛ فإن العدم المحض لا يكون له تأثير فى شـىء أصلاً، ولأن ما لا يوجد إلا بغيره، إذا لم يوجد لغيره؛ فهو باق على العدم، مسـتمر على ما كان عليه، والعدم المسـتمر الباقى لا يكون له علة أصلاً، ولو قدر أن لكل معدوم، علة لعدمه للزم تقدير علل لا تتناهى؛ لأن ما يقدر عدمه لا يتناهى، وكل هذا باطل؛ فإن العدم نفى محض ليس بشـىء أصلاً، حتى

يقــدر فيه علل ومعلولات، وإذا كان كذلــك فالممكن لا يفتقر إلى المؤثر إلا إذا قدر وجوده وإلا فمع تقدير عدمه لا يفتقر إلى شــيء أصلاً؛ فإذا قدر وجوده، واجبــاً بغيره، وجوبــاً قديماً أزلياً؛ لم يكن هناك ما يقبل العدم ولا يمكن أن يقرن بذاته شرط عدم علته.

الوجه الخامس: قوله إن قرن باعتبار ذاته. شــرط صار واجباً أو ممتنعاً وإن لم يقــترن بها شــرط لا حصول علة ولا عدمها بقيت لــه من ذاته الأمر الثالث وهو الإمكان، فيكون باعتبار ذاته الشــيء الذى لا يجب ولا يمتنع؛ فيقال هذا التقســيم يتضمن رفع النقيضــين، فإنه لابد أن يقترن بها حصول العلــة أو عدمها لا يمكن رفــع النقيضين جميعاً وهو حصــول العلة وعدمها معاً[1].

ونأتى إلى ابن رشــد الذى نجده ينقد الأشاعرة فى دليل الحدوث، حيث يرى أن هذه الطريقة ليست هى الطريقة الشرعية التى نبه الله عليها، ودعا الناس إلى الإيمان به من قبلها، وذلك أن طريقتهم المشهورة انبنت على بيان أن العالم حادث، وانبنى عندهم حدوث العالم على القول بتركيب الأجســام مــن أجزاء لا تتجزأ، وأن الجزء الذى لا يتجزأ محدث، والأجســام محدثة بحدوثــه، وطريقتهم التى ســلكوا فــى بيان حدوث الجزء الــذى لا يتجزأ وهــو الذى يســمونه الجوهر الفرد طريقة تذهب علــى كثير من أهل الرياضة فــى صناعة الجدل، فضلاً عن الجمهور ومــع ذلك فهى طريقة غير برهانية ولا مفضيــة بيقين إلى وجــود البارى، وذلك أنه إذا فرضنا أن العالم محدث؛ لزم – كما يقولون – أن يكون له ولابد فاعل محدث، ولكن يعرض فى وجود هذا المحدث شــك ليس فى قوة صناعة الكلام الانفصال عنه، وذلك أن هذا

(١) ابن تيمية – المرجع السابق، ص ٢٢٧ – ٢٣٠.

المحدث لسنا نقدر أن نجعله أزلياً ولا محدثاً.

أما كونه محدثاً، فلأنه يفتقر إلى محدث، وذلك الحدث إلى محدث، ويمر الأمر إلى غير نهاية وذلك مستحيل، وأما كونه أزلياً فإنه يجب أن يكون فعله المتعلق بالمفعولات أزلياً، فتكون المفعولات أزلية. والحادث يجب أن يكون وجوده متعلقاً بفعل حادث، اللهم لو سلموا أنه يوجد فعل حادث عن فاعل قديم فإن المفعول لا بد أن يتعلق به فعل الفاعل، وهم لا يسلمون ذلك فإن من أصولهم أن المقارن للحوادث حادث[1].

وفى رأى ابن رشد أن الطريقة الشرعية التى نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدها الصحابة رضوان الله عليهم فى الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى تنحصر فى طريقتين:

إحداهما: دليل العناية

وهو طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله، وهذه الموافقة هى ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد.

الثانية: دليل الاختراع

ويدخل فيها وجود الحيوان كله ووجود النبات ووجود السموات، وهذه الموجودات مخترَعة وكل مخترع فله مخترِع.

وأما الآيات المنبهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه فى الكتاب العزيز فهى منحصرة فى هذين الجنسين من الأدلة: وذلك أن الآيات التى فى الكتاب العزيز فى هذا المعنى إذا تصفحت وجدت على ثلاثة أنواع: إما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية، وإما آيات تتضمن التنبيه على

(١) ابن رشد – الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة، المكتبة المحمودية – الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٨ ص ٤٣ – ٤٤.

دلالــة الاختراع، وإما آيات تجمع الاسمين مــن الدلالة جميعاً. فأما الآيات التــي تتضمن دلالة العناية فقط مثــل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ إلى قوله ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾[1].

وأمــا الآيــات التى تتضمن دلالة الاختراع فقط ففــى قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾[2]. ومثــل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[3].

وأمــا الآيــات التى تجمع الدلالتين فهى كثيرة أيضــاً بل هى الأكثر مثل قوله تعــالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[4]. إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[5] – فإن قوله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ تبــين على دلالــة الاختراع وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴿٢٢﴾﴾[6] تنبيه على دلالة العناية.

ولا نجد لشــيخ الإســلام ابن تيمية هنا نقداً يذكر لابن رشد، كما وجدناه عنيفاً فى نقده للمتكلمين والرازى وابن سينا. وذلك أن ابن رشد استقى أدلته على وجود الله ســبحانه وتعالى من القرآن الكريم مباشرة، ولكننا نجده يذكر أن مفهــوم دليل العناية هو نفســه مفهوم دليل الاخــتراع، بل كلما دل على العناية دل على الاختراع[7].

---

(١) سورة النبأ – الآيات ٦ – ١٦.

(٢) سورة الطارق – الآيات ٥ – ٦.

(٣) سورة الغاشية – الآية ١٧.

(٤) سورة البقرة – الآية ٢١.

(٥) سورة البقرة – الآية ٢٢.

(٦) سورة البقرة – الآية ٢٢.

(٧) المرجع السابق، ص ٦٥ – ٦٧.

الفصل الثانى

دلائل ابن تيمية على وجود الله سبحانه وتعالى

أولا: دليل الضرورة والفطرة عند ابن تيمية :

يذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى ضرورى وفطرى فى نفوس الناس، فالمخلوق يحتاج دائماً إلى الخالق، ويربط شيخ الإسلام هذه الضرورة وهذه الفطرة بالحب لله سبحانه وتعالى والتعظيم لذاته، وعدم إشراك أحد فى عبوديته سبحانه وتعالى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى ذلك: «ولهذا كان أكثر الناس على أن الإقرار بالصانع ضرورى وفطرى، وذلك أن اضطرار النفوس إلى ذلك أعظم من اضطرارها إلى ما لا تتعلق به حاجتها، ألا ترى أن الناس يعرفون من أحوال من تتعلق به منافعهم ومضارهم كولاة أمورهم ومالكيهم وأصدقائهم وأعدائهم ما لا يعلمون من أحوال من لا يرجون ولا يخافون، ولا شىء أحوج إلى شىء من المخلوق إلى خالقه، فهم محتاجون إليه من جهة ربوبيته؛ إذ كان هو الذى خلقهم وهو الذى يأتيهم بالمنافع ويدفع عنهم المضار. ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]. وكل ما يحصل من أحد فإنما هو بخلقه، وتقديره وتسببه وتيسيره، وهذه الحاجة التى توجب رجوعهم إليه حال اضطرارهم، كما يخاطبهم بذلك فى كتابه، وهم يحتاجون إليه من جهة ألوهيته فإنه لا صلاح لهم إلا بأن يكون هو معبودهم، الذى يحبونه ويعظمونه ولا يجعلون له أندادا يحبونهم كحب الله، بل يكون ما يحبونه سواء كأنبيائه

(١) سورة النحل – الآية ٥٣.

وصالحي عباده إنما يحبونهم لأجله، كما في الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار» ومعلوم أن السؤال والحب والذل والخوف والرجاء والتعظيم والاعتراف بالحاجة والافتقار ونحو ذلك مشروط بالشعور بالمسئول المحبوب المرجو المخوف المعبود المعظم الذى تعترف النفوس بالحاجة إليه والافتقار الذى تواضع كل شىء لعظمته واستسلم كل شىء لقدرته وذل كل شىء لعزته، فإذا كانت هذه الأمور مما تحتاج النفوس إليها ولابد لها منها، بل هى ضرورية فيها، كان شرطها ولازمها وهو الاعتراف بالصانع والإقرار به، أولى أن يكون ضرورياً فى النفوس، وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح: «كل مولود يولد على الفطرة» وقوله فيما يروى عن ربه عز وجل «خلقت عبادى حنفاء» ونحو ذلك، لا يتضمن مجرد الإقرار بالصانع فقط، بل إقرار يتبعه عبودية لله بالحب والتعظيم وإخلاص الدين له، وهذا هو الحنيفية وأصل الإيمان»[1].

ولكن ما معنى الفطرة عند شيخ الإسلام ابن تيمية؟ الفطرة عند شيخ الإسلام هى محبة الله وهى القوة التى أودعها الله فى النفس وبها نعرف الله ونشهد به ونحبه ونخلص له فى عبادته، وأن محبة الله فطرية فى النفس.

ويسوق لنا شيخ الإسلام ابن تيمية أدلته التى يرجح بها رأيه من السنة النبوية بعد أن استدل على ذلك من القرآن بآية الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن

(١) ابن تيمية – بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول – على هامش كتاب منهاج السنة النبوية – الجزء الثالث، ص ١٠٥ – ١٠٦.

﴿تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢)﴾[1]. فيقول «والنبى صلى الله عليه وسلم شبه اللبن بالفطرة لما عرض عليه اللبن والخمر فقال له جبريل: أصبت الفطرة ولو أخذت الخمر لغوت أمتك.

والطفل مفطور على أن يختار اللبن بنفسه، فإذا تمكن من الثدى لزم أن يرتضع لا محالة، فإرضاعه ضرورى إذا لم يوجد معارض، فكذلك هو مولود على أن يعرف الله والمعرفة ضرورية لا محالة إذا لم يوجد معارض.

فتبين لنا أن للمولود قوة موجبة لحب الله والذل له وإخلاص الدين له؛ ومما يبين هذا أن كل حركة إرادته فإن الموجب لها قوة المريد، فإذا أمكن فى الإنسان أن يحب الله ويعبده ويخلص له الدين كان فيه قوة تقتضى ذلك.

وقد ثبت أنه فى النفوس قوة المحبة لله والذل له، فالإقرار بالصانع بدون عبادته بالمحبة له لا يكون الإقرار نافعاً.

وإذا كانت المحبة فطرية وهى مشروطة بالشعور لزم أن يكون الشعور أيضاً فطرياً، ولو لم تكن محبة الله فطرية فى النفس لكانت النفس قابلة لها ولضدها على السواء، وهذا ممتنع.

ولابد لهذه الفطرة والخلقة من قوت وغذاء يمدها بنظير ما فيها مما فطرت عليه علما وعملا، ولهذا كان تمام الدين بالفطرة المكملة بالشريعة المنزلة، وهى مأدبة الله كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «إن كل أدب يجب أن تؤتى مأدبته، وأن مأدبة الله هى القرآن»[2].

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٧٢.

(٢) د. الطبلاوى محمود سعد – التصوف فى تراث ابن تيمية، هيئة الكتاب – الطبعة الأولى – القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٠٤ – ١٠٥.

ثانيا: ارتباط دليل الضرورة والفطرة عند ابن تيمية بأدلة الصوفية:

ويذكرنا استدلال شيخ الإسلام ابن تيمية على وجود الله سبحانه وتعالى بأنه ضرورى وفطرى بالصوفية الذين يستدلون على وجود الله سبحانه وتعالى بالله ذاته، يقول ابن عطاء الله السكندرى (ت ٧٠٩هـ) «كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر بكل شىء، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر فى كل شىء، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر لكل شىء، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الظاهر قبل وجود كل شىء، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أظهر من كل شىء، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الواحد الذى ليس معه شىء. كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أقرب إليك من كل شىء، كيف يتصور أن يحجبه شىء ولولاه ما كان وجود كل شىء»[1].

تعقيب:

هذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية من الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى من أنه ضرورى وفطرى، كما يقول الله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2]. فالفطرة هنا كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية هى القوة التى أودعها الله فى النفس وبها نعرف الله ونحبه ونشهد له ونخلص له فى عبادته ونقر بوحدانيته.

---

(١) ابن عطاء الله السكندرى - الحكم، مكتبة صبيح - الطبعة الأولى. القاهرة ١٩٧٠. ص ١٢ - ١٤.

(٢) سورة الروم - الآية ٣٠.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية قد هاجم المتكلمين فى دليل الحدوث والإمكان، فإنه لا يعترض على هذه الأدلة فى حد ذاتها، ولكنه يعترض على المقدمات الطويلة التى أتى بها المتكلمون، وأيضاً استخدام مصطلحات لم تأت لا فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل لفظ الجسم والتحيز والعرض والجوهر الفرد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى إقراره لأدلة الحدوث والإمكان «فيقال إن إثبات الصانع ممكن بطرق كثيرة منها الاستدلال بالحدوث على المحدث وهذا يكفى فيه حدوث الإنسان نفسه أو حدوث ما يشاهد من الحيوانات كالنبات والحيوان وغير ذلك ثم إنه يعلم بالضرورة أن المحدَث لا بد له من محدِث، ثم إذا قدر أنه استدل بطريقة الإمكان إما ابتداء وإما مع طريقة الحدوث، فالعلم بأن الممكن يفتقر إلى الواجب علم ضرورى لا يفتقر إلى نفى التسلسل»[1].

إذن فشيخ الإسلام ابن تيمية يقر بدليل الحدوث، ولكنه لا يكتفى بهذا، بل يذكر أن هذا الدليل يجب أن يؤدى إلى نفى التسلسل، وهذا ما انتقده ابن رشد على الأشاعرة بأن كل محدَث يفتقد إلى محدِث إلى ما لا نهاية.

ويأخذ شيخ الإسلام ابن تيمية بنفى التسلسل من القرآن والسنة ويقول فى ذلك:

«والقرآن فيه شفاء لما فى الصدور من الأمراض» والنبى صلى الله عليه وسلم علم أن وسواس التسلسل فى الفاعل يقع فى النفوس وأنه معلوم الفساد بالضرورة.

فأمر عند وروده بالاستعاذة بالله منه والانتهاء عنه كما فى الصحيحين

(١) ابن تيمية - بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول - على هامش كتاب منهاج السنة النبوية، الجزء الثالث، ص ٧٨.

واللفظ لمسلم عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله، فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله».

ويستطرد شيخ الإسلام فى حديثه عن نفى التسلسل فيقول.. وقد سئل بعض السالكين طريقة هؤلاء كالرازى ونحوه فقيل له : لِّم لم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم عند هذا الوسواس بالبرهان المبين لفساد التسلسل والدور بل أمر بالاستعاذة .. فأجاب بأنه مثل هذا مثل من عرض له كلب ينبح عليه ليؤذيه ويقطع طريقه فتارة يضربه بعصا وتارة يطلب من صاحب الكلب أن يزجره. قال فالبرهان هو الطريق الأول وفيه صعوبة والاستعاذة بالله هو الثانى وهو أسهل، واعترض بعضهم على هذا الجواب بأن هذا يقتضى أن طريقة البرهان أقوى وأكمل، وليس الأمر كذلك بل طريقة الاستعاذة أكمل وأقوى فإن دفع الله للوسواس عن القلب أكمل من دفع الإنسان ذلك عن نفسه[1].

والحقيقة أن أدلة الحدوث والإمكان هو الدليل الكونى الذى أتى به القرآن الكريم ودعا إليه الله سبحانه وتعالى فى النظر إلى موجودات الله سبحانه وتعالى من إنسان وحيوان ونبات وجمادات وسموات وأرض إلى غير ذلك من موجودات، وتلك الموجودات هى الأشياء المحدثة التى أحدثها الله سبحانه وتعالى، ولكن المتكلمين أجملوها فى لفظ المحدث، فكل محدث له محدث أحدثه وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٩.